رسوم الحضارة الفرعونية بين الشكل والوظيفة

THE DRAWING OF PHARAONIC CIVILIZATION BETWEEN FUNCTION AND SHAPE

إعـــــداد

أ.د. محمد حامد رسمي

أستاذ النحت ورئيس قسم التعبير المجسم كلية التربية الفنية جامعة حلوان

د. إبراهيم أحمد أحمد السيد

المدرس بقسم التربية الفنية – كلية التربية النوعية بالمنصورة

أ. محمود محمد محمد فرج

باحث ماجستير بقسم التربية الفنية

كلية التربية النوعية - جامعة المنصورة

مجلة بحوث التربية النوعية – جامعة المنصورة

العدد الثامن عشر – سبتمبر ٢٠١٠

رسوم الحضارة الفرعونية بين الشكل والوظيفة

إعـــداد

أ.د. محمد حامد رسمي* د. إبراهيم أحمد أحمد السيد**

أ. محمود محمد محمد فرج***

ملخص البحث

يهدف البحث الحالى التعرف على العلاقة بين الشكل والوظيفة للرسوم الفرعونية والتعرف على دور العقيدة المصرية وتأثيرها على شخصية الفنان في استمداد موضوعات رسومه والتعرف على دور كلاً من الأسطورة والسحر في المعالجات التشكيلية .

ويتناول الباحث توضيح وتحليل الرسوم الفرعونية المرتبطة بالدولة الوسطى وما اتسمت به هذه الرسوم من طابع ديني .

وتوصل الباحث إلى نتيجة هامة وهى أن للرسوم الفرعونية سواء كانت بارزة أو غائرة أو مرسومة على أوراق البردي أو منقوشة على سائر مقتنيات الأسر الفرعونية ، كان لها جانب وظيفى يتبع العقيدة الفرعونية وهي عقيدة البعث والخلود.

THE DRAWING OF PHARAONIC CIVILIZATION BETWEEN FUNCTION AND SHAPE

ABSTRACT

The Current research aims to identify the relationship between shape and function of the Pharaonic drawings and identify the role of Egyptian belief and it's effect on artist's personality in deriving the themes of his drawing and identify the role of myth and magic in shaping processing.

The research analysis and clarifies the Pharaonic drawing related to with the medieval state and the religious nature that it was characterized with .

The researcher reached that the Pharaonic drawings Whether they were relief, gear, painted on papyrus or decorated on the objects of Pharaonic families have functional side related after death .

* أستاذ النحت ورئيس قسم التعبير المجسم كلية التربية الفنية جامعة حلوان

** المدرس بقسم التربية الفنية – كلية التربية النوعية بالمنصورة

*** باحث ماجستير بقسم التربية الفنية كلية التربية النوعية - جامعة المنصورة

رسوم الحضارة الفرعونية بين الشكل والوظيفة

إعـــداد

أ.د. محمد حامد رسمي* د. إبراهيم أحمد أحمد السيد**

أ. محمود محمد محمد فرج***

مقدمة البحث

تعتبر الرسوم الفرعونية من أهم ما خلفه لنا المصريون القدماء لأنه يكشف عن عقائد المصريين وأفكارهم حيث عبر الفنان عن آداب وعادات المجتمع كما عبر عن الحياة السياسية والاجتماعية التي كان يحياها ، إلى أن جعلها مرجعاً لكل ما يحيط بالإنسان في مصر القديمة .

حيث أتحدت كلاً من الشكل والوظيفة في الرسوم ولذلك أصبح لها جانبين :- جانب جنائزي وذلك لمساعدة المتوفى على البعث والخلود في حياة الأبدية . وجانب تجميلى وهو زخرفة كل ما استطاع الإنسان أن يصل إليه ويتعامل معه .

ومما يؤكد أهمية الرسوم في حياة المصريين أنهم اعتبروها هى وفن الكتابة الهيروغليفية جزءاً من نظرية الخلق في عقيدتهم . حيث أن كلاً منهما كان قابلاً للحركة واستيعاب الحياة ، وذلك باستخدام بعض الوسائل السحرية طبقاً لتلك العقيدة، وبذلك فانه من الضروري توضيح العلاقة بين الشكل والوظيفة في هذه الرسوم .

مشكلة البحث :

الحضارة المصرية حضارة قائمة على العقيدة وهي عقيدة البعث والخلود وهذه العقيدة تؤكدها الآثار المنتشرة في مصر، والرسوم جزءاً هاماً من هذه الحضارة ولذلك فإنه من الضروري توضيح العلاقة التى تربط هذه الرسوم وتلك العقيدة. ويمكن تحديد مشكلة البحث في التساؤلات التالية :

١- ما حقيقة اقتصار الرسوم في مصر الفرعونية على الأغراض الدينية ؟ وما علاقتها بالسحر والأساطير الشائعة في بيئتهم ؟

٢- ما علاقة الشكل بالوظيفة في الفن المصري القديم ؟

* أستاذ النحت ورئيس قسم التعبير المجسم كلية التربية الفنية جامعة حلوان

** المدرس بقسم التربية الفنية – كلية التربية النوعية بالمنصورة

*** باحث ماجستير بقسم التربية الفنية كلية التربية النوعية - جامعة المنصورة

٣- ما مدى توفيق الفنان المصري القديم في صياغة الشكل والوظيفة لتلك الأعمال من خلال التشكيل الواقعي والرمزي ؟

٤- ما مدى استطاعة الفنان المصري القديم من خلال رسومه التأثير على المجتمع ؟

أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف التالية:-

١- توضيح العلاقة بين الشكل والوظيفة للرسوم الفرعونية.

٢- الكشف عما تولد عن الأسطورة من إيحاءات ودلالات في معالجة الرسوم الفرعونية.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في :

١- يسهم البحث في توضيح وتحليل الرسوم الفرعونية وما اتسمت به هذه الرسوم من طابع ديني .

٢- إلقاء الضوء على الرسوم الفرعونية لإثراء الفن المعاصر.

فروض البحث

١- يوجد للعقيدة أثر على كلاً من الشكل والوظيفة في صياغة الرسوم الفرعونية.

٢- يوجد مقدرة لدى الفنان المصري القديم على توظيف الشكل لخدمة العقيدة .

منهجية البحث

تتبع الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي .

حدود البحث

يتناول البحث الرسوم الفرعونية في الدولة الوسطى .

الإطار النظري للبحث

أولاً: الأساطير

ليست الأسطورة مجرد حكاية خرافية ، بل هي منهج فكري استخدمه الإنسان القديم ليعبر به عن نظراته في الكون ، بدء الخليقة ، والنظام الكوني ، والصراع الأزلي بين الخير والشر.. الخ ، ويطرح فيه تساؤلات عما يراه من تناقضات تشوب هذا النظام الرائع الذي ابتدعه الإله الأعلى وسنه للحياة.

والواقع أن الكثير من العلماء اعتبروا الأسطورة في منشئها حادثة أو مجموعة من الأحداث التاريخية الهامة التي تحولت في مخيلة الإنسان القديم إلى أحداث خارقة للمألوف ، وربطت بالدين ومن ثم خلع أبطالها رداءهم البشري وباتوا آلهة[١].

يذكر " ميرسيا الياد " أن من الصعب إيجاد تعريف للأسطورة ، يقبله جميع العلماء والباحثين ، ويكون في الوقت ذاته في متناول المتخصصين ، فالأسطورة واقعة ثقافية شديدة التعقيد ، يمكن مباشرتها وتفسيرها من منظورات متعددة ، يكمل بعضها بعضاً[٢].

لقد لعبت الأساطير في الفترة الأولى من تاريخ البشرية دوراً هاماً في الحياة الفكرية ، لقد كانت الوسيلة المبكرة في محاولة فهم العالم وتحديد معالمه . إنها البداية لرحلة طويلة يصارع الإنسان فيها ليقيم علاقة مفهومة بينه وبين الطبيعة وقواها المختلفة القاسية أحياناً والرحيمة أحياناً[٣].

وتعتبر الأساطير ذات أهمية بالغة لفهم تراث الحضارات ودراستها ، إذ لا يمكن الاستغناء عنها لفهم التاريخ وتذوق الفنون والآداب وتفسير المعتقدات الدينية ، وتحليل النظريات الفلسفية. ولا شك أن الأساطير قائمة على أساس من الحقيقة. غير أن الخيال الإنساني مع مر الأيام ألبس الحقيقة من الأوهام أردية جعلتها بعيدة عن المعقول ، وإن تكن قريبة محببة إلى النفوس. ومع ذلك فأغلب الأساطير يدور حول إنشاء حياة أفضل[٤].

والأسطورة تغطي كل مساحة النفس التي اكتشفها علم النفس الحديث ، ومن ثم فهي بمثابة خط حياة وقدر مرسوم . وتمثل تطور هذه النفس وكل الصراعات الداخلية التي تعمل فيها مما يجعلها صالحة كموضوع درامي أصيل .

وان الأسطورة تعد نوعاً من الإبداع الفكري داخل إطار خيالي ومن عوامل تكون الأسطورة بداية العقل وعدم استساغة الرأي وعدم تقبل الأفكار كلما أمعن العقل في البدائية كانت الأسطورة أمعن من الخيال[٥].

وعلى الرغم من كل ما يقال عن الأسطورة فهي المادة الحقيقية التي يجب الرجوع إليها لمعرفة وفهم الجانب الخفي من حياة المجتمع[٦].

([1]) رندل كلارك : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، ترجمة أحمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص٧.

([2]) ميرسيا اليـاد : مظـاهر الأسـطورة ، ترجمـة : نهـاد خياطـه ، دمـشق : دار كنعـان للدراسـات والنـشر ، ١٩٩١ ، ص ٩ .

([3]) فوزي الأخناوي : مصر الفرعونية (بين الماضي والحاضر) ، ط١ ، القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٠ .

([4]) سليمان مظهر : أساطير من الشرق ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، ص ٩ .

([5]) عريان لبيب حنا : الشخصية المصرية في مصر القديمة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ ، ص ٩٦ .

والأساطير المصرية ليست بقصص محبوكة ومترابطة. وهي تدور حول آلهة تمثل قوى الطبيعة لا حول أفراد متعاظمين من بني البشر كما ترتبط أحداثها ارتباطاً وثيقاً بما يدور في المعبد أو ما يدور في ممارسة الطقوس الشعبية[٧].

وظهرت الأساطير كتعبير رمزي يصور ما يجري في أعماق النفس البشرية في مقابل أحداث الطبيعة الخارجية ، إن الأسطورة تعبير عن العالمين الداخلي والخارجي كما تفهم الأسطورة أحياناً كمحاولة للتفسير ولذلك يطلق عليها البعض "علوم ما قبل عصر العلوم" والأساطير جعلت من الآلهة كائنات حية لكل منها صفاته الخاصة بل هي التي دفعت الناس إلى الشعور نحو البعض منها بالحب ونحو البعض الآخر بالكره والبغضاء فالأساطير هي التي جعلت من ايزيس إله طَيبة ومن ست إلهاً مكروهاً[٨].

والأساطير عند المصريين روايات لما فعلته الأرباب عند خلق الدنيا ، بيد أن أحداثها ترمز إلى النظام الحالي الذي تخضع له المخلوقات ، فلم يكن وجود الحقبة الأسطورية عبثاً بل هي وحدت لتفسير دنيا الأزمان التاريخية وتبرر أحداثها[٩]. كما أن الأساطير مملوءة بالتصورات الدينية والخيالية فهي تجسيد لنماذج مثالية ولمواقف إنسانية .

ولا يمكن فهم الأساطير المصرية دون الرجوع المستمر لما يدعمها من نصوص اللاهوت بحثاً عن مغزاها الديني والميتافيزيقي[١٠] واللعب بالألفاظ قد يخلق تفصيلاً جديداً للتصور الأسطوري. لقد كانت مصادر الأساطير المصرية محددة ويمكن أن نحددها في ثلاث نصوص هي :

١- نصوص الأهرام – الدولة القديمة

٢- نصوص التوابيت – الدولة الوسطى

٣- كتاب الموتى – الدولة الحديثة

([6]) أوسكار وايلد : الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي ، ترجمة : أحمد أبو زيد ،القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٦٧ص ١٨٩.

([7]) رندل كلارك : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، مرجع سبق ذكره ، ص٥ .

([8]) سليم حسن : مختصر موسوعة مصر القديمة، إعداد عريان لبيب حنا، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨، ص٢١٦ .

([9]) رندل كلارك : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٥٤.

([10]) تعني بدراسة الطبيعة الأولية للوجود والعالم وهي علوم ما وراء الطبيعة .

١ـ نصوص الأهرام

تعتبر أقدم الآداب الدينية المدونة ، فهي مجموعة من أناشيد وتمائم تحتوي على كثير من السحر للحماية والوقاية من شرور العالم الآخر ، وتتضمن مراثي للملك المتوفى ، وتمائم يفترض أنها تساعده على البعث واستعادة حواسه[١١] .

وهي تعاويذ وترانيم وأساطير في أسلوب شعري جميل تتعلق بمراسم تمكين الملك المتوفى من أن يأخذ مكانه بين الآلهة وليصبح متحداً مع "رع" ملك الآلهة . ومجموع النصوص التي عثر عليها في الأهرام ٧١٤ تعويذة وتحتوي على صلوات وبعض طقوس دينية وإشارات إلى ما كان بين الآلهة من حروب[١٢] . كما أنها تحتوي على كثير من أسماء هذه الآلهة وصفاتهم وكثيراً من تصورات المفكرين عن الخلق الأول ونشأة الوجود .

ونقشت نصوص الأهرام بإتقان على الجدران الحجرية لغرفة دفن الملك بحيث تبدأ من فوق رأس الملك الراقد في تابوته ، كأنما قصد أن تكون في متناول الملك حتى يتمكن من الاستعانة بها إذا لزم الأمر ، وقد اتخذ الفنان حيطته في تدوين النصوص بالكتابة المصورة (الهيروغليفية[١٣]) [١٤] .

وهي لم تكن وليدة عصر كتابتها وحده وإنما كانت من تراث عصور طويلة سابق وإنتاج كتابات فكرية متباينة ولهذا تضمنت صوراً أخروية ودنيوية وأسطورية وفلسفية وبعضها بدائي مضطرب وبعضها راقي منطقي.

وقد كانت متون الأهرام عبارة عن نصوص متفرقة قبل عهد "أوناس[١٥]" في صدور الكهان وعلى أفواه الرواة والمحدثين وعلى صفحات البردي ولحاف الفخار والأحجار حتى صحت الرغبة في عهد أوناس في تسجيلها في باطن هرمه تأكيداً لاستفادته الأخروية من تراتيل الدين التي تضمنتها ، فجعلته هرمه يتصف بالفخامة رغم صغر حجمه وحين ذلك توافد على المشرفين على بناء هرمه كل من ظن أنه يعرف من التعاويذ والتراتيل ما ينفع الفرعون[١٦] في أخراه . فتقبلوا منهم كل ما

---

(11) محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، القاهرة : هيئة الآثار المصرية ، ١٩٩٢ ، ص ٥٤ .

(12) نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية . العصر الفرعوني ، المجلد الثاني ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ ، ص ٣٧٤ .

(13) استعملت الهيروغليفية كنمط كتابة رسمي لتسجيل الأحداث على المعالم والنصوص الدينية علي جدران المعابد والمقابر و أسطح التماثيل و بسبب طبيعتها كانت تعد منذ القدم في آن واحد نظاما للكتابة فنا زخرفياً جميلا وهي كلمة مشتقة من ازدواج كلمتين اغريقيتين : "هيرو" بمعنى "المقدس" ، و"غليف" بمعنى "النحت" فهي النحت المقدس

(14) محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤ .

(15) هو آخر ملوك الأسرة الخامسة في حين يرى البعض أنه أول ملوك الأسرة السادسة وأي كان فإن هرمه يمثل مكانه خاصة بين أهرام مصر ، وارتفاعه الحالي ١٩ متر ، ولكن ارتفاعه الأصلي كان ٤٤ متراً .

- أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦، ص ٢٢٤ .

(16) يعني في اللغة المصرية القديمة "المنزل الكبير" أو "البيت الكبير " أو ما يعني "الباب العالي "

تتسع له المسطحات المعدة للنقش في باطن الهرم فيما عدا الجدار الغربي لحجرة الدفن حيث يوضع التابوت عادة.

كما أن نصوص الأهرام بما تشمله من صور للآخرة تجسم الآراء والمعتقدات التي نشأت منذ خمسة آلاف سنه وكانت المصدر الأول لتلك العقيدة وبرغم ما تحتويه من إبداع ومهارة في الأسلوب إلا أنها لم تعكس وحدة متجانسة . فنحن حين نجد الملك متربعاً على العرش وحيناً أخرى نراه هائماً في حقول الغاب سعياً وراء القوت وثالثة يركب سفينة الشمس وحيناً نراه نجماً ساطعاً تابعاً للشمس ، وعلى الرغم مما في تلك الصور من متناقضات إلا أنها في مجملها تدور حول فكر واحد ينشد السعادة الأبدية لملك شبيهة بالآلهة.

ومن غرائب نصوص الأهرام خلوها المطلق من شكل السمك حيث لا تعرف العلة الدينية أو غير الدينية لذلك[١٧] .

٢- نصوص التوابيت

هي كتابات دينية مدونه معظمها على جدران التوابيت الخشبية ظهرت في فترة الانتقال بين الدولة القديمة والوسطى . كذلك من زمن الأسرتين التاسعة والعاشرة وهو ما يعرف بالعصر الأهناسي نسبة لاتخاذ ملكها أهناسيا[١٨] عند الفيوم عاصمة لهم[١٩] .

وهذه النصوص مقتبسة من نصوص الأهرام اقتبسها الكهنة ثم ألفوا بقيتها بما يتناسب مع عهودهم المتتالية وآمال الناس فيها لحمايتهم من المخاطر، وهذه النصوص كتبت باللغة الهيراطيقية[٢٠] .

ولم تؤد متون التوابيت إلى الاستغناء عن نصوص الأهرام ثم لم تغني هذه النصوص عن ظهور كتاب الموتى ، ولذلك نستطيع أن نؤكد أن النصوص الدينية التي وجدت على التوابيت مغايرة لنصوص الأهرام ، ولذلك لم يكتفي بنصوص التوابيت أو نصوص الأهرام أو كتاب الموتى ، فكل منها لها عملها والغرض منها . فلا نستطيع الاستغناء عن أحدهم وليس معنى ذلك أنهم مختلفون عن بعضهم البعض بل هم أجزاء لحلقة واحدة متصلة .

ومن مزايا نصوص التوابيت ما يتمثل في تأليفها رباط بين نصوص الأهرام وما أعقبها من كتاب الموتى إذ وردت تعاويذ من كلا المصنفين فيها ، ويبدو من نصوص التوابيت أنها كانت تسمي قديماً " كتاب تبرئة الإنسان في العالم الأسفل " [٢١].

([17]) ضياء أبو غازي: مدخل إلي علم الآثار المصرية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٦ .

([18]) مدينه سميت فقي مصر القديمة "ننى نسو"، وفي العصر اليوناني سميت "هيراكليوبوليس"، وفي القبطية هنيس وحالياً أهناسيا .

([19]) محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، مرجع سبق ذكره ، ص٥٥ .

([20]) نوع من الكتابة المصرية القديمة كتبت برموز مبسطة للرموز الهيروغليفية الأصلية .

٣- كتاب الموتى

هو موسوعة دينية ظهرت في الدولة الحديثة وكانت تكتب على أوراق متفاوتة الأطوال من البردي وتحفظ مع الموتى في توابيتهم أو توضع بين أكفانهم .

وكان نادراً ما يسجل على جدران القبر من الداخل وظهر في بداية الأسرة الثامنة عشرة واستمر استعماله حتى نهاية العصر الفرعوني[٢٢] . ولقد سمي كتاب الموتى بهذا الاسم نظراً لوجود كثير من أوراقه في المقابر وداخل التوابيت وفي لفائف المومياوات .

وهذه الكتابات لم تكن دينية فقط ولكنها كانت سحرية أيضاً ، بغرض التعاويذ للخروج نهاراً ويختلف بعضها عن بعض في كل نسخة ، وهذه التعاويذ يقرأها المتوفى لتصونه من الضرر والشياطين (والموت الثاني) وتمكنه من الخروج من القبر في موكب المعبودات والتحول إلى قوى إلهيه مختلفة والحصول على البراءة يوم الحساب.

ومن أكثر صورها شيوعاً تصوير ميزان ينصب ويوضع قلب المتوفى باعتباره مصدر النية والمشاعر والضمير بينما تصور في الكفة الأخرى ريشة ترمز من حيث اللفظ إلى كلمة (ماعت [٢٣]) بمعني العدالة وترمز من حيث الصورة إلى دقة الوزن وحساسيته ويجرى الحساب عادة في حضرة رب الآخرة (أوزيريس) ويحضر اثنين وعشرين قاضياً مقدساً يمثلون أرباب عواصم الأقاليم .

وكتاب الموتى اسم حديث وكان في المصرية يسمى (رقى للخروج نهاراً) وهو مصنف يبدو أنه أنما أعد قبيل الدولة الحديثة ، فيما يربو على ١٥٠ رقية سحرية ، يتلوها المتوفى وقاء نفسه من الضرر[٢٤] . ومن ثم لم يقبل أي إنسان الذهاب إلى عالم الآخرة دون أن يكون مزوداً بمجموعة من التعاويذ السحرية التي كانت ترتب على هيئة أسئلة وأجوبة[٢٥] .

(21) ضياء أبو غازي : مدخل إلي علم الآثار المصرية / ر. انجلباخ ، ترجمة أحمد محمود موسي ، مراجعة أحمد عبد الحميد يوسف ، القاهرة : المجلس الأعلى للآثار ، ١٩٨٨ ، ص ٢٥٦ .

(22) محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٥ .

(23) هي كلمة مصرية قديمة ، وهي كلمة جامعه ويراد بها الحق والعدالة والصدق .

(24) ضياء أبو غازي: مدخل إلي علم الآثار المصرية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤١ .

(25) نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية . مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٤ .

إن النصوص الأسطورية هي بصفة خاصة التي تحدثنا عن عالم الآلهة. فهي تشير إلى أوجه نشاطها ، بل وتذكر لنا خاصة ، العديد من الأحداث الخارقة للمألوف . فهناك بعض القصص تصفها وهى في عالمها الخاص ، ولم يتبق الكثير من هذه القصص حتى الآن ولكن على ما يبدو ، كانت تعتبر نمطاً قصصياً راقياً وواسع الانتشار للغاية منذ أقدم العصور.

والأسطورة على ما تحتويه من أفكار ورموز وعناصر تشكيلية تكون هي المصدر الأول التي اعتمدت العقيدة عليه في استخراج الشكل الذي تشكلت عليها بما فيه أيضاً الأشكال التي خرجت عليها الآلهة من طيور وحيوانات.

الأسطورة المصرية كانت تأملية أكثر منها تخيلية وذلك لأنها تعبر عما يضطرب في النفوس من رأى وفكر وتجربة وكانت لتفسير كائن أو حدث كوني أو عادة دينية.

لقد عالج المصريون القدماء في هذه الأساطير قضايا مهمة واعتبروا أن هذه الأساطير حقائق وثيقة الصلة في تفسير الوجود ابتداء من حياتهم الخاصة والعامة ونظرتهم إلى الكون والحياة داخل الوجود الديني والمجتمع الإنساني وسلوك الفرد وحياته الروحانية والعاطفية ونظرته إلى الخلود وقصة الخير والشر.

إن الأساطير هي أمر أساسي يفسر قدرة المصريين على تعديل أفعال الآلهة أو إضافة المزيد إليها أو حتى ظهور الأساطير من جديد بأبطال آخرين دون أن يفطنوا إلى حدوث تضارب ، فالثبات ليس شرطاً أساسياً من شروط الأسطورة ، حيث أن الأساطير قد أبدعتها عقول تفتقر إلى التناسق والثبات الفكريين بمعناها المنطقي . لقد كانت الأسطورة أسلوباً للتعبير عن تأملات المرء في الكون وعن حاجات الروح الإنسانية قبل ظهور الفلسفة المنفصلة عن الدين عند الإغريق ، وهو السر في بساطة الأساطير المصرية وفى غرابتها وأحياناً في عمقها . إنها الحلم والميتافيزيقا والشعر كل في آن واحد[٢٦] .

لذا كان علي الأساطير أن علي تخدم هدفين - الأول أن تصور الخطوات التي تم تنظيم الكون بها والتي انتهت بالانتصار النهائي لحورس ، وقيام الملكية الفرعونية ، أما الهدف الثاني الذي لم يفهم إلا بالتدريج فهو تحقيق الهدف الأول من خلال نظرية الملكية المقدسة والثاني من عقيدة الروح ، وتبدو تلك العبارة كما لو كانت تحليلاً لعالم نفس حديث ، غير أن المصريين أنفسهم كانوا قد أدركوا تلك الحقيقة من قبل ، وأن لم يستخدموا نفس مصطلحاتنا الحديثة ، إذا كانوا يدركون أهدافهم التي صنعوا من أجلها الأساطير [٢٧] .

وهكذا كانت الأساطير المصرية في واقعها في حالة التغيير على مدى الآلاف الثلاثة من عمر التاريخ المصري ، وذلك نتيجة لخلق تصورات جديدة وإن استمرت هذه التغيرات أساساً مع علاقات

([26]) رندل كلارك : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٦ .

([27]) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ .

جديدة بالأفكار الأساسية القديمة غير أن هذه العلاقات نفسها هي التي أعطت الأساطير المصرية مظهرها المعقد ذات الألوان التي لا حصر لها ، ونتجت عنها قصص أسطورية جديدة[٢٨] .

والإنسان المصري شأنه شأن كل البشر في أنحاء العالم في فجر التاريخ كان مشغولاً بقضية الخلق ، كيف جاء إلي الوجود من صنع هذا العالم ، ما القوى التي تتحكم في حركته ، كيف يرضيها ويتجنب خطرها ، ومن مكونات البيئة المحيطة : الطبيعة ، الحيوانات ، الشمس ، القمر ، النجوم ، الماء ، الأرض ، بدأ الإنسان يصنع لغته الأولى لغة الأساطير ، لغة نسجها من الخيال والواقع حيث الحدود الفاصلة بينهما غير محددة ، لغة تتسم بالتلقائية والانتقال السريع من فكرة إلى أخرى ، والرغبة المتجددة في الوصول إلى شيء جديد يحل هذه الألغاز التي تحاصره من كل جانب[٢٩] .

وليس غريباً أن تصبح قضية الخلق المحور الأساسي في البناء الأسطوري المصري القديم ، فمصر هبة النيل تخلق كل عام من جديد ، يأتي الفيضان ويغطيها فتقف الحياة ، ثم ينحسر الفيضان فتبرز إلى الوجود الأرض ومعها الحياة . إن هذه الظاهرة استرعت انتباه المصري القديم ومن هنا جاء تصوره للخلق بوعي أو بدون وعي : الأرض الأولى التي تطل برأسها من الماء الأزلي وتصبح نقطة الحياة[٣٠] .

لقد صيغت الأساطير في أوساط تقية ورعة بل ومحافظة على التقاليد الدينية يبدو أننا نرى أن المصريين قد حاولوا بين الحين والأخر الفكاك من قيود اللاهوت وشرعوا في استخدام لغتهم الأسطورية في كتابة الطرائف أو لوصف الطبيعة أو لتوسيع فهمهم لطبيعة الفرد وهذا لايعني سوى أن مصر القديمة كانت حضارة متكاملة وأن أساطيره كانت ثرية ثراء الحياة التي تعكسها ومتعددة قدر تعدد أوجهها[٣١].

ففي عصر الحضارة القديمة والأديان البدائية لم تكن مهمة الكهنة ابتكار أساطير جديدة بقدر ما كانت تنظيم أساطير ما قبل الحضارة التي ورثوها وثبتوها . ولذا لم يقدم هؤلاء الكهنة فلسفة ، إنما قدموا ما يسمونه "لاهوتا" ، أي أعطوا الأساطير البربرية المائعة شكل العقيدة اللاهوتية الجامدة المسنودة بمؤسسات دينية بدائية ، ذات مصالح دنيوية واضحة مرتبطة بالصفوة الحاكمة[٣٢] .

ومما لا نزاع فيه أن الأساطير الدينية التي خلفها لنا الأقدمون في أية أمة من أمم العالم تحتوي في جوفها على نواة الحقيقة مهما تعددت رواياتها ولا أدل على ذلك من الروايات التي انحدرت إلينا من أقدم العهود المصرية القديمة حتى عهد البطالمة فلقد دلت شواهد الأحوال على أن أسطورة

([28]) صموئيل نوح كريمر : أساطير العالم القديم ، ترجمة : أحمد عبد الحميد يونس ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٩

([29]) لويس بقطر : مجلة فكر ، عدد ١٥ ص ٩٧ .

([30]) فوزي الأخناوي : مصر الفرعونية (بين الماضي والحاضر) ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٠ .

([31]) رندل كلارك : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦١

([32]) عبد العظيم أنيس : العلم والحضارة ، دار لكاتب العربي ، ص ٨٧ .

"رع" قد لبست أثواباً مختلفة في عصور التاريخ المصري الطويل ، متأثرة بالبيئة التي تناولها العهود التي رويت فيها [٣٣].

حيث كان كل اله من الألهه المصرية القديمة تنسج حوله حكايات كثيرة ، لكنها كانت تختلف من مكان إلى مكان ومن زمان لآخر . والنتيجة أن أصبحت الأساطير في الديانة المصرية معقدة للغاية . ورغم ذلك كان لدى المصريين معتقدات معينه ظلت ثابتة بصفة عامة على مدى التاريخ[٣٤] . وهذه يمكن اعتبارها الأساطير الأساسية في النظام الديني في مصر القديمة.

١. أسطورة إيزيس وأوزوريس
٢. أسطورة الخلق والنشأة
٣. أسطورة قرص الشمس المجنح
٤. أسطورة دمار البشر

١. أسطورة إيزيس وأوزوريس

كان أوزوريس خير ما أبدعته مخيلة المصريين من شخصيات وأكثرهم تعقيداً أيضاً، ولئن لم يكن رب الكون ، لكنه لم يكن إلهاً ثانوياً بأي حال من الأحوال . كان الإله الأعلى في عرف اللاهوت[٣٥] .

فهناك أراء عدة حول الرواية الصحيحة لأسطورة ايزيس وأوزوريس كما اختلف في أن أوزوريس ربما كان ملكاً من البشر حكم في عصر سحيق للغاية واستمر كل جيل يضيف إليها من خياله ما يوائم تصورات عهده.

إن أسطورة ايزيس وأوزوريس تفوق كل الأساطير شهرة وفاعلية إذ أنها قد تغلغلت في الدين والعقيدة منذ العصور الأولى وأثرت على بعض نواحيها.

وتحكي الأسطورة المسجلة على جدران معبد إيزيس أنه في قديم الزمان كان يحكم هذه البلاد ملك اسمه "جب"، وكان له ولدان من الذكور واثنتان من الإناث . وزوج الملك ابنه أوزوريس من أخته إيزيس، كما زوج ابنه ست من أخته نفتيس.. ولأن أوزوريس كان طيب القلب عادلاً ملكه أبوه الوديان الخضراء والسهول والأنهار، أما ست الذي كان شريراً حاقداً فقد ملكه أبوه أرض الصحاري القاحلة .

وقد أوتي الملك والحكمة، علم شعبه الزرع والحرث وأقام الحدود ووضع للحياة أسساً وتقاليد فأحبه الناس[٣٦]، فحقد عليه ست وتآمر مع آخرين حيث صنع صندوقاً من خشب الأبنوس مطعماً بالذهب والأحجار الكريمة بحجم أوزوريس زعم في حفل أقامه أنه يهديه لمن يتسع له.

([33]) نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية . العصر الفرعوني ، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٢ .

([34]) ت. ج .هـ. جيمز : كنوز الفراعنة ، ترجمة أحمد زهير أمين ، مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص ١٤٤

([35]) رندل كلارك : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٨ .

لم يتسع الصندوق لغير أوزوريس الذي كان طويل القامة. وعندما استلقى في الصندوق أسرع ست فأمر رجاله بإغلاق الصندوق وإلقائه في النيل. وراحت أمواج النهر تتقاذف الصندوق حتى بلغ مصب رشيد، ثم تناقلته أمواج البحر حتى بلغت به شواطئ جبيل (ببلوس بلبنان) حيث كان قد توفى وهو داخل التابوت.

واستعملت ايزيس المخلصة الوفية في البحث عن جثة زوجها، ووظفت ما لديها من علوم السحر الذي برع فيه المصريون حتى عرفت المكان الذي استقر فيه الصندوق. فركبت سفينة انطلقت بها إلى ببلوس حيث حلمت بأن الصندوق داخل شجرة أرز كان الملك قد قطعها وأقامها عموداً ودعامة في قصره. وتحايلت ايزيس على ملك ببلوس وحملت ساق الشجرة سراً وعادت به إلي مصر.

وفي أحراش الدلتا تضع الصندوق وتأخذ في البكاء فتسقط بعض دموعها على وجه أوزوريس، فيعود إلى الحياة ، وعلم ست بما حدث فأخذ يبحث عن أوزوريس حتى وجده فقطعه إلى ستة عشر جزءاً بعثرها في جميع مقاطعات مصر، فعادت إيزيس لتواصل البحث من جديد فعثرت على جميع الأجزاء عدا جزء واحد هو قدم أوزوريس اليمنى، فقد استقرت في جزيرة بيجه المقابلة لجزيرة فيله، وكانت المياه تنساب من بين أصابعها محملة بالخصب والطمي لتنمو ربوع مصر بالخير من فيضان النيل .

وتستمر الأسطورة وتحمل إيزيس من روح زوجها بعد وفاته وتلد حورس الذي غذت فيه أمه روح الانتقام، فقد خاض صراعاً مريراً مع عمه حتى انتصر عليه . وجلس على عرش أبيه وتوج بالتاج الأبيض في مقر حكمه بالمدينة الصغيرة على جزيرة فيله المقدسة. ليصبح من بعد هو الإله حورس برأس الصقر الذهبي[٣٧].

٢. أسطورة الخلق والنشأة

كعادة الإنسان القديم كانت أهم الأشياء التي شغلت فكر المصري القديم هي أصل الخلق، ذا ظهرت العديد من الأساطير حول بداية الآلهة والكون. وقد كانت هناك ثلاث أساطير حول الخلق والنشأة تبعا لثلاث نظريات مختلفة الأولي تنسب لمدينة هليوبوليس والثانية لهرموبوليس والثالثة لمنف ولكن في النهاية تغلبت أسطورة هليوبوليس بعد أن مزجت ببعض الآراء الصغيرة من نظريات هرموبوليس ومنف.لكننا سوف نلخص الثلاث أساطير كما يلي:

الأسطورة الأولي هي أسطورة هليوبولس التي تتلخص في أن الكون قد نشأ من ماء غير مشكل يسمى نون انبثق منه الإله آتوم الذي ظهر فوق ربوة تسمى الربوة الأولى أو ربوة الخلق - والإله آتوم يساوي الإله رع- ثم قام الإله آتوم بإيجاد التوءمين "شو " إله الهواء و"تفنوت " ربة الرطوبة وهما

([36]) محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ،مرجع سبق ذكره ، ص ٦١ .

([37]) سليمان مظهر : مصر (النيل ، الناس ، الآثار) ، القاهرة : مؤسسة دار التعاون ، ١٩٩٥ ، ص ١١٧.

الذان أوجدوا بدورهما الإله "جب" إله الأرض والربة "نوت" ربة السماء ثم نتج عنهما "أوزوريس وايزيس وست ونفتيس"

وقد كونت الآلهة التسعة ما يسمي بالتاسوع الإلهي (أي مجمع الآلهة التسعة) ويعتبر هذا التاسوع كياناً إلهيا واحداً وقد اشتق من هذا النظام نظرية كونية وهي تصوير الكون على هيئة ثالوث تكون من شو إله الهواء وهو واقف ساندا بيديه الجسد الممدد لربة السماء نوت ويرقد الإله جب عند قدميه.

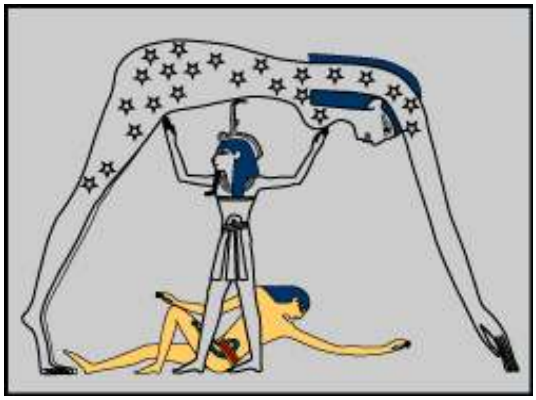

أما النظرية الثانية التي نشأت في هرموبوليس تقول أن المادة الغير مشكلة كانت موجودة قبل نشأة الكون وقد كانت لها أربع صفات تضاهي ثمانية من الآلهة في أزواج وهم :

"نون ونونيت" إله وربة الماء الأزلي (الماء الأول).

"حوج وحوحيت" إله وربة الفراغ (الفضاء)

"كوك وكوكيت" إله وربة الظلام

"آمون وآمونيت " إله وربة الخفاء

وقبل نشأة الأرض كانت تعتبر هذه الآلهة مجرد صفات للمادة الغير مشكلة (تمثيل) وقد كونت هذه الآلهة ثامون هرموبوليس (مجمع الآلهة الثمانية) كما ظهرت أيضا من المادة الغير مشكلة الربوة الأزلية (الأولى) في هرموبوليس وعلى تلك الربوة كانت هناك بيضة وهي التي خرج منها إله الشمس ثم أخذ إله الشمس في تنظيم العالم..

أما النظرية الثالثة التي ظهرت في منف - بعد أن أصبحت عاصمة مصر- حاولوا فيها تمجيد الإله "بتاح" إله منف فجعلوه في أسطورة نشأة الكون الإله الخالق الأكبر ولكن جعلوه يحتوي على ٨ آلهة أخرى بعضها من التاسوع الهليوبوليسي والباقي من الثامون الهرموبوليسي .

وقد احتل آتوم مكانة خاصة في هذه النظرية وأدخل الثنائي "نون وتوبيت" في المجموعة كما أدخل فيها تاتن (أحد آلهة منف) والذي يعتبر تجسيد للإله الذي برزت منه المادة الأزلية الأولى ثم اضيفت أربعة آلهة أخرى غير محددة بدقة.

وحسب النظرية فإن الإله آتوم يحمل صفات النشاط والحيوية للإله بتاح وهي الصفات التي عن طريقها تحقق الخلق ، أما صفات الفطنة (الفكرة) والقلب ويجسدها الإله حورس ثم الإرادة واللسان ويجسدها الإله تحوت ويقال أن الإله بتاح قد كون العالم في صورة عقلية قبل أن يخلقه بالكلمة (كن فيكون).

٣. أسطورة قرص الشمس المجنح

نقشت هذه الأسطورة في عصر متأخر من التاريخ ، وإن كانت النقوش تضم عناصر تعود إلى عهود قديمة

ويستهل النقش بالعام ٣٦٣ من حكم مصر العليا والسفلى "رع حور أختي" ، وإن كان النقش لم يتضمن أي إشارة مباشرة إلى إله الشمس كإله ، بل إلى " رع ور أختي"كملك دنيوي تماماً كان على رأس جيشه في النوبة ، عندما أبلغ عن مؤامرة حيكت ضده ونسجت خيوطها في مصر .

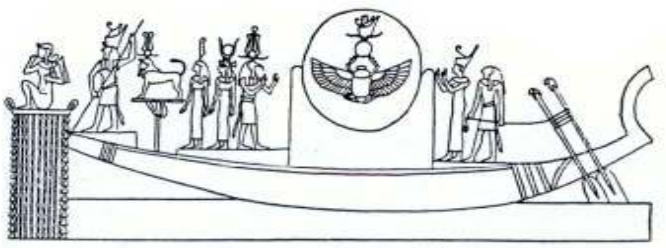

مركب الشمس يتقدمها الإله «حورس» ممسكاً برمحه

ويبحر رع حور آختي بسفينة في النيل ويرسي أمام مدينة إدفو ويوكل ابنه "حورس"(ونجد هنا حورس يعتبر ابن إله الشمس وليس ابن أوزوريس) لقتال الأعداء،ثم نرى حورس في السماء على شكل قرص الشمس المجنح مهاجماً الأعداء من عل فأضطر الأعداء إلي الهرب ،فيقترح الإله تحوت منح حورس لقب الإله حورس بحدتي (حورس الإدفوي) وينزل رع حور آختي مع الإلهة الآسيوية عشتارت ليتفقدوا أرض المعركة ولكن يظهر أن المعركة لم تنته بعد ، حيث نزل الأعداء إلي الماء في شكل تماسيح وأفراس نهر مهاجمين السفينة، ولكن حورس وأتباعه استطاعوا القضاء على معظمهم بالحراب ثم يتقمص حورس شكل قرص الشمس المجنح وعلى جانبيه الإلهتان "نخبت" و"وادجت" مستمرين في تعقب الأعداء ويوقع بهم الهزيمة.

و في هذا الجزء من الأسطورة يظهر تأثير مذهب أوزوريس حيث يظهر حورس في شكل حورس ابن ايزيس وأوزوريس وهذا لا يعني أن حورس البحدتي أو الإدفوي وحورس ابن ايزيس و أوزوريس إلهان مختلفان بل هما إله واحد تعددت صوره وتعددت طرق تمثيله ويظهر في هذا الجزء من الأسطورة الإله ست - عدو حورس وأوزوريس- على رأس الأعداء في شكل ثعبان فيتأجج القتال مرة أخرى بالمقاطعة ال٥٢ بمصر السفلى ويحقق حورس النصر وينحدر حورس وأبنائه إلي النوبة ليسحق تمرد آخر .

ويكافئ رع حور أختي حورس بأن يظهر في المعابد على شكل قرص الشمس المجنح لكي يحفظ المعابد من الأعداء .

٤. أسطورة دمار البشر

إن هذه الأسطورة تعبر عن الثورة التي قام بها البشر يوماً ضد الإله "رع" ولقد حدث ذلك في زمن كان البشر والآلهة فيه شيئاً واحداً يتعايشون معاً على الأرض . وقد بسط "رع" سلطانه على الآلهة والبشر ، وبعد أن تقدم به السن ودبت فيه الشيخوخة فأصبحت عظامه من فضه وأعضاءه من ذهب وشعره من اللازورد الحقيقي لاحظ الناس ذلك فدبروا له سوءاً ، ولكن نواياهم هذه لم تخف عن الإله . وقال لأحد أتباعه (ناد لي عيني) التي هي الشمس وكذل "شو" و "تفنوت" و"جب" و"نوت" ، وكل الأمهات والآباء الذين كانوا معي عندما منت في الماء "نون" . وكذلك الإله "نون" وعندما حضرت هذه الآلهة إلى هناك ورأته ارتمت على الأرض أمام جلالته ، قائلة تحدث إلينا نسمعك ، فقال "رع" للإله "نون" : أنت يا أقدم الآلهة الذي منه خلقت ، وأنتم أيتها الآلهة الأجداد هل رأيتم بني الإنسان الذين خلقتهم من عيني كيف يتآمرون ضدي ، أصدقوني ماذا أنتم صانعون بهم . فتحدث الإله " نون" فقال: ابني "رع" الذي هو أعظم من أبيه وخالقه أبق أنت جالساً على عرشك فإن الخوف

منك لعظيم ، وخصوصاً إذا صوبت عينك نحو المتآمرين عليك، وعندما صوب "رع" عينه نحوهم هربوا إلى الصحراء .

ولكن الآلهة نصحوا "رع" بعد ذلك أن يرسل إلى المتآمرين عينه ليبطش بهم ، فأرسل عينه التي نزلت على الأرض على هيئة الإلهة "حتحور" ، ثم رجعت هذه الإلهة بعد أن قتلت البشر في الصحراء ، وهي مصممة على الذهاب إليهم مرة أخرى واستئصالهم تماماً ، ومن هذه الوهلة أدرك "رع" الشفقة على البشر فوجه رسله إلى جزيرة (الفنتين) لإحضار قدراً كبيراً من فاكهة حمراء اللون يطلق عليها اسم (ديدي) ثم أمر بتجهيز سبعة آلاف إبريق من الجعة مزجت مع هذه الفاكهة حتى يمكن أن تظهر الجعة وكأنها دماء قانية.

وفي صباح اليوم الذي أزمعت "حتحور" أن تذهب فيه لتدمير البشر أمر "رع" بأن تصب الخمر في الحقول حتى غمرتها بمقدار أربعة أمتار وفي الصباح خرجت الآلهة ووجدت المكان مغموراً ورأت وجهها معكوساً على السائل بشكل جميل فشربت منه فأصبحت ثمله تماماً مما جعلها تغفل عن ضحاياها ، ومن ثم أمكن إنقاذ البشر من مصير رهيب بفضل تدخل الإله الأكبر "رع" ،إذا كان الإله قد حفظ بني البشر من الهلاك ، إلا أنه لم يرغب في البقاء سيداً على هذه المخلوقات الناكرة للمعروف ، فذهب إلى السماء ممتطياً ظهر ابنته "نوت" التي على شكل بقرة ورفعته إلى السماء وبذلك تكونت السماء ، ثم أعرب "رع" عن رضاه في زراعة الحشائش الخضراء في السماء ، وقد نطق الإله بهذا "حقل الرضا" و "حقل الغاب " إلى الوجود. على أن "نوت" عندما ألقت بنظرها إلى أسفل ارتعشت من شاهق الارتفاع ، فقال "رع" : لو أن لي عدد "حح" بمعنى (مليون معبود) لأسندها (فكان لقوله أن خرج معبودات "حح الثمانية" الذين أخذوا بأرجل البقرة السماوية .

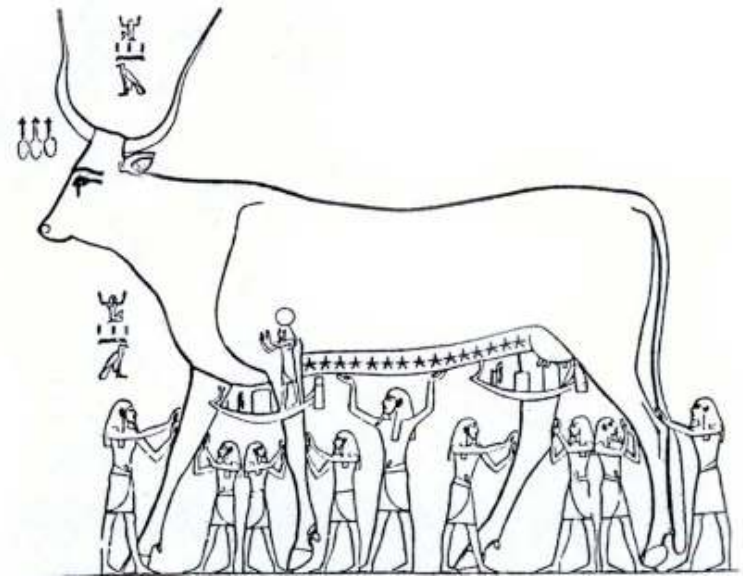

وأخيراً أمر " رع" الإله "شو" أن يجعل نفسه تحت البقرة ليسندها وليحرس آلهة حح الثمانية، فنفذ "شو" ما أمر به ، وسند منذ ذلك بقرة السماء التي تلمح النجوم على باطنها وتتحرك الشمس فوقها في قاربها هنا وهناك .

لقد تعلق الملوك أنفسهم بهذه الأسطورة فوجدناها منقوشة على أحد (نواويس) الملك "توت عنخ آمون" في القرن الرابع قبل الميلاد ، ثم على جدران مقابر سيتي الأول ، وسيتي الثاني ، ورمسيس الثالث (الدولة الحديثة).

ثانياً : السحر ومكانته في نفوس المصريين

لعب السحر والطلاسم والتعاويذ دوراً بارزاً في حياة قدماء المصريين . وكانوا يعتقدون في تناسخ الأرواح قائلين بأن لكل إنسان قرينه من الجن ، وكانت العلوم السحرية تدرس في بيوت العلم والحياة لان الإله (تحوت) هو واضع الكتب السحرية . لهذا كان الملك يلقب برئيس السحرة . لأن الملوك كانوا يمارسون السحر بأنفسهم ، وكانت طائفة السحرة لها وضعها القانوني في المملكة وكان يطلق عليهم كتبة الحياة وتردد عنهم خوارق جمة وأصدق مثال قصة سيدنا موسى مع سحرة فرعون التي ورد ذكرها في القرآن الكريم [٣٨].

قال تعالى **((قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ۩ فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى))**. سورة طه الايه : ٥٧ ،٥٨

حيث بلغ السحر في عقيدة المصريين القدماء حد أنهم كانوا يستعينون به جميعاً على كثير من شئونهم وكان السحر يعتمد على صيغ وألفاظ خاصة يظن فيها القوة على تحقيق الهدف المأمول ، فالاعتقاد الديني والسحر ظهرا معاً وأملاهما العالم الطبيعي .

حظي السحر بكل وسائل التقليدية في التسلط على القوى الروحانية والمادية بتقدير رفيع المكانة في مصر القديمة . إذ كان يعد حينها علماً ، وقد يكون عقيماً أن تتلمس له مظاهر في شعائر المعابد وذلك أن الديانة الرسمية إنما كانت تولي في علاقتها بالآلهة ، التعبد والصلاة. ومن ناحية أخرى فما كانت من الشعائر الجنزية إلا مجموعة من صيغ سحرية يفترض في تكرارها السيطرة على الصالح والطالح من الآلهة في العالم الآخر[٣٩].

فأي عمل من أعمال الدين من وجهة نظر المصريين القدماء هو في تصوره شأن من شئون السحر ، وحقيقي أن اللغة المصرية افتقرت إلى كلمة تعبر عن "الدين" وأقرب كلمة تعبر عنه هي كلمة هيكي hike التي تعني السحر .

([38]) أحمد محمد عوف : عبقرية الحضارة المصرية القديمة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، ص ١١١ .

([39]) ضياء أبو غازي: مدخل إلي علم الآثار المصرية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٥ .

وقد نشأ السحر متصلاً بالمعبودات المحلية فمن أجل ضمان الحماية من الوحوش الضارية ومعيشة أفضل ، والتوفيق في الصيد ، اعتبر أفراد القبيلة أنه من الضروري نيل المساعدة من الطوطم الذي اختلقه خيالهم [٤٠].

ولم تكن الآلهة والأحياء وحدهم الذين يحتاجون إلى السحر ، فلقد كان الاعتقاد أن الموتى هم كذلك في حاجة إلى ذلك السحر ربما بدرجة أكبر .

فالحقيقة أنه قبل الحضارة لم يكن هناك غير السحر وما صاحبه من طقوس كانت تعبيراً عن عجز الإنسان إزاء الطبيعة الجامحة ، ومحاولة منه لإغرائها بالعمل في الاتجاه الذي يريده ويحقق له مطالبه الدنيوية ، والسحر في منشأة محاولة من الإنسان لتطويع الطبيعة وتفسيرها بأساليب وهمية أي مساعدته في إكثار المحصول واستجلاب المطر وضمان فيضان النهر ، ومساعدته في مواجهة مشكلة الموت [٤١].

فالسحر ينطوي على الاعتقاد في قوة خارقة للطبيعة تكون عادة منتشرة ، ولكنها قابلة في أحوال خاصة لأنها تتركز في أشخاص معينين ، أو أشخاص خاصة . وقد كان المبدأ – على الأقل – أن دور الساحر هو أن يسيطر على هذه القوة وبعد ذلك يستعملها لفائدته أو لفائدة غيره . والساحر يصدر لهم الأمر لقوى الطبيعة ، وهو لا يخشي الآلهة ، كما أنهم لا يخيفونه ، وذلك لأنه لم يكن يصدر لهم الأوامر فقط ، بل كان في مقدوره تهديدهم [٤٢].

وكان دفاعيا بصفة عامة وعدائياً في حالات نادرة ، واستعمل لمصلحة الدولة والمعابد ، ولفائدة المرضى ومن كانوا يخافون الإصابة بالمرض ، وكان وقاية ضد الأشباح وضد الحوادث ، وكان يقي الموتى شر الشياطين في العالم السفلي .

وكان السحرة يمارسون السحر الوقائي بوضع تماثيل للآلهة عليها رموز سحرية ضد الأفاعي والتماسيح والعقارب وكان الساحر يضعها في طريق المعبد ليمر الناس بجوارها وكان يصب الماء فوق التمثال ليشربه الشخص ويقيه من الأخطار ويشفيه من جروحه[٤٣].

فجوهر السحر والذي كان أقدم وأكثر الملامح ثباتاً في عبادة الآلهة وفي الديانات المصرية ينتمي عموماً إلى فترة تسبق توصلهم إلى التمييز بين العناصر المختلفة في الدين عندما كان الإنسان يفكر أن الأرواح الشريرة وأرواح الطبيعة كائنات لا تختلف عنه كثيراً .

وفي نصوص الأهرام نرى أن امتلاك ومعرفة التعاويذ السحرية وسيلة هامة للغاية لإحراز القوة والسعادة بعد الموت ويبدو هذا طبيعياً حيث كانت هذه النصوص مخصصة أصلاً لصالح الملك

([40]) برهام الدين دلو : حضارة مصر والعراق ، بيروت : دار الفارابي ، ١٩٨٩ ، ص ١٧٦ .

([41]) فوزي الأخناوي : مصر الفرعونية (بين الماضي والحاضر) ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٩ .

([42]) نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ،مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦١ .

([43]) أحمد محمد عوف : عبقرية الحضارة المصرية القديمة ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٥ .

الذي بصفته إلهاً يرتفع فوق البشر جميعاً ، وبالنسبة للأفراد أنفسهم فإن مفهوماً أكثر صقلاً تطور تدريجياً ، أضحى منافساً للمفاهيم التي تعتمد فقط على قوى السحر ، فالسعادة في العالم الآخر هي الجائزة والشرط لسلوك فاضل ومستقيم على الأرض [٤٤].

والسحر في الواقع علم تجريبي قد انتظم في عدد معين من الرقى كانت الصدفة فيها هي العامل الأكبر . فقد أصبح علم السحر مركباً معقداً بازدياد الوصفات التي أتت عن طريق التجربة [٤٥].

وكان مما يختص السحر به في العصر المتأخر صناعة تماثيل وشواهد صغيرة، كانت تقام في البيوت أو تعلق في الرقاب حماية من مختلف أنواع الحيوانات الشريرة ، وكانت لبعض الكائنات المقدسة شهرة بأنها تساعد ضد هذا الخطر بنوع خاص[٤٦] .

([44]) ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدري ، مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة : دار الشرق ، ١٩٩٦ ، ص ١٢٠ .

([45]) نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ،مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦١ .

([46]) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة المدبولي ، ١٩٩٥ ، ص٤١٣ .

المراجـــــع

١. أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ،٢٠٠٦ .

٢. أحمد محمد عوف : عبقرية الحضارة المصرية القديمة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .

٣. أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة المدبولي ، ١٩٩٥ .

٤. أوسكار وايلد : الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي، ترجمة أحمد أبو زيد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٦٧ .

٥. برهام الدين دلو : حضارة مصر والعراق ، بيروت : دار الفارابي ، ١٩٨٩ .

٦. ت. ج .هـ. جيمز : كنوز الفراعنة ، ترجمة أحمد زهير أمين ، مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .

٧. رندل كلارك : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ، ترجمة أحمد صليحة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

٨. سليم حسن : مختصر موسوعة مصر القديمة، إعداد عريان لبيب حنا، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨. .

٩. سليمان مظهر : أساطير من الشرق ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .

١٠. سليمان مظهر : مصر (النيل ، الناس ، الآثار) ، القاهرة : مؤسسة دار التعاون ، ١٩٩٥ .

١١. صموئيل نوح كريمر : أساطير العالم القديم ، ترجمة : أحمد عبد الحميد يونس ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢. ضياء أبو غازي : مدخل إلي علم الآثار المصرية / ر. انجلباخ ، ترجمة أحمد محمود موسي ، مراجعة أحمد عبد الحميد يوسف ، القاهرة : المجلس الأعلى للآثار ، ١٩٨٨ .

١٣. عبد العظيم أنيس : العلم والحضارة ، دار لكاتب العربي .

١٤. عريان لبيب حنا : الشخصية المصرية في مصر القديمة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ .

١٥. فوزي الأخناوي : مصر الفرعونية (بين الماضي والحاضر) ، ط١ ، القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٩٣ .

١٦. مجلة فكر ، عدد ١٥ .

١٧. محمد إبراهيم بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، القاهرة : هيئة الآثار المصرية ، ١٩٩٢ .

١٨. ميرسيا الياد : مظاهر الأسطورة ، ترجمة : نهاد خياطه ، دمشق : دار كنعان للدراسات والنشر ، ١٩٩١ .

١٩. نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية . العصر الفرعوني ، المجلد الثاني ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤

٢٠. ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدري ، مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة : دار الشرق ، ١٩٩٦ .